

اليابان إزاء الصين

لليوزباشي حسين ذوالفقار صبري

كانت ، فإن المراقبين لم يروا منها إلا ارتجالاً ارتجالاً ، ولم
تحدد هي من أعمالها إلا توريطاً إثر توريط ؟

« إذا أردنا السيطرة العالمية ، وجب علينا أول الأمر
إخضاع الصين ! » ، تلك كانت عقيدة الجيش الياباني ، وهو كما
لا يخفى أداة الحكم في تلك البلاد . وإخضاع الصين عملية
شاقة مرهقة ، عملية تستنزف أعنف مجهود ، وتستنفد أرواح
ملايين من الجنود ، وتتطلب فوق هذا وذاك وقتاً طويلاً تكون
اليابان خلاله متورطة في مجاهل سحيقة في حين تكون روسيا
متربصة عن يمينها ، وبريطانيا رابضة عن يسارها ، وأسطول
أمريكا جاثم على مؤخرتها ؛ إذ لم يكن هناك بد لإخضاع الصين
من التوغل في أرضها الوعرة الموحشة حتى تصل الجيوش إلى
معبر توانج كوان عند منحنى النهر الأصفر ، وهو الذي يمد
بحق مفتاح الصين اللازم لكل غاز منتصر ، وبدونه يستحيل
الانتقال بالجيوش الجرارة أو الإمدادات الوفيرة إلى قلب البلاد ،
وهو في الوقت نفسه يمهّد الطريق الأسهل إلى ولاية ستشوان
الخصبة الغنية (حيث توجد العاصمة الآن) ، وهو أيضاً يهدد
مرتفعات شانسي الشرفة على منشوكو والفنول الداخلية وسهول
الصين الشمالية ! فهو كما نرى معبر به مغاليق الصين إلا أنه معرض

هناك في الشرق الأقصى منذ أكثر من عام ، هبّت فجأة
أعاصير الحرب تجتاح الدول عاصفة بالقوانين ، لا تعرف لتلك
حرمة ولا تقيم لهذه حساباً ، ثم خبت نارها فجأة كما قامت ،
وصفت سماؤها وشفّت إلا عن بضعة التحامات هنا وهناك ،
ولكن تيارها العميق ، البعيد عن الأنظار ظل قريباً مستمراً عنيفاً
تحت السطح الراكد قبل الزوبعة ، التلاطم أثناءها ، ثم
الختلج بعدها .

هناك في مجاهل الصين منذ أكثر من خمس سنين ابثق
ذلك التيار ، الجارف الآن ، مترقفاً في ذلك الحين ، ولم يزد
على أن يكون مشاغبة تافهة بالقرب من بيننج « بكين قديماً » ،
ولكنها كانت مشاغبة توارت خلفها مطامع اليابان ، فانهزمتها
فرصة للاقدام والتنفيذ ، ولكن تنفيذ ما ذا ؟ استثمار الصين ؟
نعم ولكن ... أين كانت خطتها المحكمة التدبير ... ؟ أين

أجل يا حبيبتي ! هذا هو الحب العاطر ينشر
أريجيه في الأودية والحقول ، ويلهم وحيه الصادق
الافهام والعقول ، ويرويه للكون في آتية الليل
والنهار ، هوى عذريا ، وحبا قدسياً ، فيؤمن بالحب
بعد جحوده ، ويصحو على صوت مؤذنه بعد هموده

هنالك ، يوحى إلهامه ، وبهيمس ترانيله في أذن
الطبيعة الصماء ، فتشدو الريح في يوم عرسنا مرتلة
أناشيد غرامنا ، وترقص أغاني العمر على الشفاه ،
مفردة أغاريد الهوى على الثغور ، شادية
ألحان القبل ، ساجدة أنغام النزل .

هيد العنبر العييزي

(النسورة)

ريحانها ، لتلهلها الريح بمبيرها ورباها ، وتلهبها
بمتمها وجناها ؛ كالسائق يمدد مسرعاً وبطوى
الأرض لاهناً ليروى ظمأه ، ويمسك رفقاً !

فاطو العمر أيها الزهر المخضب ، ومت بفتنتك
بين الرياض وجداً وهوى ! فقد كتب الموت
على الأزهار التي تذوب صباية وهياماً ،
لتنفث زفراتها أريجاً وعبيراً لمن جافه
نسيم الصبا ولم يهتد لضوء الهوى .

ليلي ؛ أواه ! حسبنا أن نموت كهذه الأزهار
الولهة ، لترين دماء صبوتنا عطراً متبهاً ، فتسكر
الريح بنحمر قبلتنا ، وتبوح الأزهار بسر غرامنا !

أساس توسيع رقعة القتال بمجرد نشوبه مرة أخرى ، فيورط اليابان في حرب أراجاؤها فسيحة وسط قوم مناهضين لهم ساخطين عليهم . استمع إليه قبل الحرب بثلاث سنوات وهو يخاطب ضباطه في « كولنج » : « نظن اليابان أن في إمكانها احتلال الصين دون كبير عناء ... وهي لا بد معاودة التحرش بنا قريباً ... واعلموا أنه لا يتحتم علينا مقابلة كل سلاح تأتي به اليابان بسلاح بمائته ... بل في وسعنا أن نجابه اختراعات العدو الجديدة بأسلحتنا التقليدية المريعة ، وهي مقدرتنا الفائقة على استخدام كل ما تراه العين أو تقع عليه اليد ، سواء أ كان هذا جبلاً أم أنهاراً ، حجارة أم أغصاناً ... يجب علينا إيقاظ شعبنا من سباته حتى يهب خلف المغير إذا تهاوت القوات أمامه ، ... إن تحديد وسائل المقاومة لا يهم ما دامت تحمونا عنيزة لا تهين وهمة لا تكل ... »

وفي هزيع ليلة حالكة من ليالي يوليو سنة ١٩٣٧ دوت في الفضاء عدة طلقات عند معبر « مركو بولو » بالقرب من بينج فكانت إيذاناً باللمحة الكبرى . وأطبقت اليابان على الصين الشمالية ... وكان « كاي تشك » كما أسلفت قد قرر أن يعد رقعة القتال ويستدرج العدو إلى جوف البلاد ، أو على حد تعبيره ، كان قد قرر أن يشتري الزمان بالمكان . ظنت اليابان أنها مقدمة على نصر سريع كذلك الذي واثاها منذست سنين في منشوكو . ظنت أن « كاي تشك » سيواجه جيوشها الميكانيكية الحديثة في سهول الصين الشمالية ، ولكنه لم يفعل ، بل أرسل خيرة جنوده إلى شنفهاي يهدد مصالحها هناك فاستدرج جنودها وراه . وهزم القائد الصيني هناك وأخلى عاصمته نانكين ثم هزم في « سوتشاو » ، ثم هزم مرة ثالثة أمام عاصمته الجديدة « هنكاو » ، ولكنه في كل مرة كان ينزل بأعدائه أفدح الخسائر ويرتد عنهم قبيل إطباقهم عليه ، مغرباً إياهم بالحقاق به والتوغل خلفه حتى أضحى جنود الحملة اليابانية منتشرة على مساحة شاسعة ، ولم تعد قادرة على تركيز مجهودها في مكان معين ، واضطرت حامياتها الموزعة على مختلف المدن الصينية المحتلة أن تحمي خطوط المواصلات حتى لا تفقد تماسكها ولكنها لم تجرأ على المخاطرة بنفسها في الأماكن غير المطروقة ، وهكذا أصبحت

مهتد إن لم يحمه صاحبه باحتلال وادي نهر هان الملتف جنوبه . إذن على اليابان أن تحتل هذه المعاقل الثلاثة النائية : معبر توانج كوان ، ومرتفعات شانسي ، ووادي نهر هان ، قبل أن تأمل بسط سيطرتها على أبناء « الأرض الطيبة » ، وقد أحجمت ... فهي تعلم أن الدول الثلاث المحيطة بها لا شك مقدمة على وقفها عند حدها إن هي تجاوزته ؛ ولكن مطامع اليابان كانت متأصلة في نفسها ، ملححة عليها ، مكبوتة متحفزة ، مخبوءة متربصة ، فهي إذن لا مرءاء مندفعة إلى عالم الوجود ، إن عاجلاً أو آجلاً ، كما تفجر من ينبوع جياش ، فينقلب إلى سيل متدافع أرعن لا حاكم له ولا ضابط . لذا استقر رأي ولاية الأمور على تلافى تلك العاقبة الهوجاء بتفريج الحال على دفعات خلال منفس صغير أدنى بهم إلى سلوك مسلك عجيب ، برى المظهر ، خبيث الطوية ، مسلك المتحرش بالقوم الآمنين حتى يستفزهم ، الفاضب لإهانة وهمية لم تلحقه ، التواعد بالويل حتى يسترضى فيتأفف ، ثم التقدم على اغتصاب تمويض ضخ من حقه ، وقد بنيت الخطط على أن يكون التمويض المذكور مقاطعة صينية تنتزع انتزاعاً لتضم إليهم ، وعند ما يتم إدماجها اقتصادياً واجتماعياً في نظامهم المرسوم تعاد عملية الاستبزاز من جديد وهكذا دواليك .

وتحرضوا أول مرة في « مكدن » في سبتمبر سنة ١٩٣١ فضمت منشوكو إليهم ... وتلمظت طوكيو هائلة بالذي ابتلعت ، وأدارت وجهها لانتقاء وجبتها التالية ، بينما مضت إدارتها الداخلية تنسق الولاية الجديدة ... ولم تعلق كبير اهتمام بذلك الشاب الصيني اليافع الذي علمته في مدارسها الحربية ، وأنعمت عليه بلباسها العسكري ، فجازاها بأن ألقاه في وجهها وفر منها متقلباً بين اليمين والشمال في حكومات الصين ، موحداً لواءها مرة ومشعلاً الحرب بينها مرات ، ذلك الشاب الذي أضحى الآن رجلاً قوى الشكيمة شديد البأس على رأس جيش عرمرم ، ذلك الرجل الذي توصل أخيراً إلى توحيد مختلف حكومات الصين تحت تعاليم أستاذه العظيم « سون يات صن » ذلك الرجل الصارم العنيد ، شانج كاي تشك رجل الصين الأعظم ، ورمز عصرها الجديد .

تنبه القائد الصيني للخطر المحدق ببلاده فأعد خطته على

في أتون المركبة بفرق أخرى جديدة ، وأطبقوا على « شنسي » في الشمال ، واحتلوا « شكيانج » و « كيانجي » في الجنوب الشرق فأصبح لهم خط حديدي تام يصل شنهاي بسنغافورة عبر الهند الصينية وسيام ، وهام يقاتلون الآن في مقاطعة ينان حيث ألقى شانج كاي تشك ينجده المختارة على أمل إعادة فتح طريق بورما المشهور ، بينما سارع وكيل هيئة أركان حربه الجنرال المسلم « باي تسويج هسي » إلى الشمال للدفاع عن « شنسي » ...

كل شيء هادي في الميدان الشرق ! ... نعم إلا إذا استثنينا ذلك الصراع الهائل الذي يخوضه ربع سكان العالم ، أربعمائة مليون شخص ، في سبيل حريتهم .

كل شيء هادي ... ولا جديد هناك ! نعم لا جديد سوى أن زهرة الجيش الياباني قد عقلت وأصبحت عاجزة عن الإقدام على مفاصرة جديدة ! لا جديد سوى بضع معارك طاحنة في ينان وشنسي وتشكيانج وكيانجي ! لا جديد سوى أن تلك المعارك يتوقف عليها مصير العالم الشرق بأكمله !

مبين ذوالفقار مصري

صدر اليوم

سليمان الحكيم

الملك النبي

بقلم

توفيق الحكيم

ومثله ٢٥ قرشا صاغا ويطلب من ملتزمة نشره
مكتبة الآداب بالجاميز بمصر ت ٢٧٧٧ و سائر
الكتبات الشهيرة بمصر والمخارج

قائمة الكتب ترسل لن يطلبها بجانا

لا تحتل من البلاد إلا شبكة خيوط مرسومة حول أرض وعرة مجهولة وبالهلاك موبوءة

توصل شانج كاي تشك إلى تنفيذ مآربه وأصبحت القوات اليابانية عاجزة عن إحراز نتيجة حاسمة ، وأضحت حكومتها لا تجرؤ على التراجع بعد أن بهزت تكاليف مفاصرتها ، وظلت إدارتها الداخلية قاصرة على تنظيم موارد أراض لم يستتب الأمن فيها بعد

وفي الوقت نفسه كان القائد الصيني يجمع الجنود وينظم الصفوف ويستورد المهام من روسيا عبر « سنكيانج » ، ومن بريطانيا وأمريكا عبر بورما أو عن طريق بعض الموانئ التي تحتها امتيازات الدول الغربية

ووقفت اليابان تراب ذلك الجرح الذي لا يندمل بقلب كمدوعقل مبلبل حائر ... ثم قبض جنرالها « سوجياما » على مقاليد الجيش وأصبح رئيساً لهيئة أركان الحرب العامة ، و « سوجياما » هذا جندي نشط جسور ، يواصل العمل ليل نهار تحذوه لإرادة لا تكل ، وكراهية ملتهبة لكل ما هو أجنبي ، وكان عليه أول الأمر عزل الصين عن كل مساعدة خارجية وتأمين مؤخرة اليابان أمداً من الزمان حتى يتم لها القضاء على مقاومة شانج كاي تشك ... وربض « سوجياما » يقرب اللحظة المناسبة حتى وافته فانقض ... فكانت « بيرل هاربور » وتبعها هنج كنج والفلبين وبورنيو والملايو وبورما وسومطرة وجاوة وجزر سليمان ...

بظن الكثيرون أن تلك كانت مقدمات لاقتضاض اليابان على استراليا أو استعدداً منها لاجتياح الهند ؛ وإني لا أنكر أنها قد تتحول إلى ذلك مستقبلاً ، ولكنها لم تكن في ذلك الحين إلا سياجا عظيماً أقامته اليابان حول الصين وبحار الصين ، وإن كانت لم تعرض لطريق روسيا التي انشغلت عن مساعدة شانج كاي تشك بجربها الشعواء مع ألمانيا النازية ، وعدا ذلك فقد خشيت طوكيو استفزاز الجنرال الروسي اشتري الذي وقف على أنهم اعتماد يراقب بعين بقطرة جيش إجاباكي الرابط في منشوكو ...

كل شيء هادي في الميدان الشرق ! ... هكذا يقرر الكثيرون لأن الصحف لم تعد تقدم لهم عنه ما تعودوه من عناوين ضخمة ، وهم في ذلك غمطون ... فقد ألفت اليابان